إخبار النبي (ص) بمقتل الإمام الحسين (ع)

<"xml encoding="UTF-8?>

وأحاط النبي صلى الله عليه وآله أصحابه علما بمقتل ريحانته وسبطه ، وأذاع ذلك بين المسلمين ، حتى بات عندهم من الأمور المتيقنة التي لم يخالجهم فيها أدنى شك ، يقول ابن عباس : " ما كنا نشك ، وأهل البيت متوافرون أن الحسين بن علي يقتل بالطف " (1) .

وقد بكى النبي (ص) أمر البكاء وأفجعه – في غير موطن – على ما سيحل بريحانته من الخطوب والكوارث التي تذوب منها القلوب ، وفيما يلي عرضا لتلك الأخبار .

1 – روت أم الفضل بنت الحارث قالت : كان الحسين في حجري فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وقد حملت معي الحسنين ، فوضعته في حجر رسول الله صلى الله عليه وآله ثم حانت مني التفاتة فإذا عينا رسول الله صلى الله عليه وآله تهريقان من الدموع فقلت له :

" – يا نبي الله – بأبي أنت وأمي – ما لك ؟ ! ! – أتاني جبرائيل فأخبرني أن أمتي ستقتل ابني هذا .

وذعرت أم الفضل ، فانبرت تقول : – تقتل هذا – وأشارت إلى الحسين – ؟

– نعم ، وأتاني جبرئيل بتربة من تربته حمراء (2) . وغرقت أم الفضل بالبكاء وهامت في تيارات مذهلة من الأسى والحزن

2 – روت السيدة أم سلمة قالت : إن رسول الله (ص) اضطجع ذات ليلة للنوم فاستيقظ وهو خاثر (3) ، ثم اضطجع فاستيقظ وهو خاثر دون ما رأيت به المرة الأولى ، ثم اضطجع فاستيقظ ، وفي يده تربة حمراء وهو يقبلها فقلت له : ما هذه التربة يا رسول الله ؟

– أخبرني جبرئيل إن هذا – يعني الحسين – يقتل بأرض العراق فقلت لجبرئيل : أرني تربة الأرض التي يقتل بها ، فهذه تربته (4) .

3 – وروت أم سلمة قالت : كان النبي (ص) جالسا ذات يوم في بيتي ، فقال : لا يدخلن علي أحد ، فانتظرت فدخل الحسين فسمعت نشيج النبي ، فإذا الحسين في حجره " أو إلى جنبه " يمسح رأسه وهو يبكي فقلت له : " والله ما علمت حتى دخل " .

فقال لي : إن جبرئيل كان معنا في البيت ، فقال : أتحبه ؟ فقلت : نعم ، فقال : إن أمتك ستقتله بأرض يقال لها كربلا ، فتناول جبرئيل من ترابها ، فأراه النبي (5) .

4 – روت عائشة قالت : دخل الحسين بن علي على رسول الله (ص) وهو يوحى إليه ، فنزا على رسول الله ، وهو منكب ، فقال جبرئيل :

أتحبه يا محمد ؟ قال : وما لي لا أحب ابني ؟ قال : فان أمتك ستقتله من بعدك ، فمد جبرئيل فأتاه بتربة بيضاء فقال : في هذه الأرض يقتل ابنك هذا ، واسمها الطف ، فلما ذهب جبرئيل من عند رسول الله (ص) والتربة في يده وهو يبكي فقال :

" يا عائشة إن جبرئيل أخبرني أن ابني حسينا مقتول في أرض الطف وان أمتي ستفتن بعدي " .

ثم خرج إلى أصحابه وفيهم علي وأبو بكر ، وعمر ، وحذيفة ، وعمار وأبو ذر ، وهو يبكى فبادروا إليه قائلين : " ما يبكيك يا رسول الله ؟ ! ! " .

" أخبرني جبرئيل أن ابني الحسين يقتل بعدي بأرض الطف ، وجاءني بهذه التربة ، وأخبرني ان فيها مضجعه " (6) .

5 – روت زينب بنت جحش زوج النبي (ص) قالت : كان النبي نائما عندي ، وحسين يحبو في البيت ، فغفلت عنه حتى أتى النبي فصعد على بطنه ، ثم قام النبي يصلي ، واحتضنه فكان إذا ركع وسجد وضعه وإذا قام حمله ، فلما جلس جعل يدعو ، ويرفع يديه ويقول . . . فلما قضى الصلاة قلت له :

" يا رسول الله لقد رأيتك تصنع اليوم شيئا ما رأيتك تصنعه ؟ "

فقال : " إن جبرئيل أتاني فأخبرني أن ابني يقتل ، قلت : فأرني إذا فأتاني بتربة حمراء " (7) .

6 – روى ابن عباس قال : كان الحسين في حجر النبي (ص) فقال جبرئيل : أتحبه ؟ فقال : كيف لا أحبه وهو ثمرة فؤادي ؟ ! ! فقال : إن أمتك ستقتله ، ألا أريك من موضع قبره ؟ فقبض قبضة فإذا تربة حمراء (8) .

7 – روى أبو امامة قال : قال رسول الله (ص) لنسائه : لا تبكوا هذا الصبي – يعني حسينا – قال وكان يوم أم سلمة فنزل جبرئيل فدخل رسول الله (ص) الداخل ، وقال لأم سلمة لا تدعي أحدا يدخل علي فجاء الحسين فلما نظر إلى النبي في البيت أراد ان يدخل فأخذته أم سلمة فاحتضنته وجعلت تناغيه ، وتسكنه ، فلما اشتد في البكاء خلت عنه ، فدخل حتى جلس في حجر النبي (ص) ، فال جبرئيل للنبي :

– إن أمتك ستقتل ابنك هذا .

– يقتلونه وهم مؤمنون بي ؟ ! ! نعم يقتلونه .

وتناول جبرئيل تربة ، فقال له : بمكان كذا وكذا يقتل ، فخرج رسول الله (ص) قد احتضن حسينا وهو كاسف البال مغموم فظنت أم سلمة أنه غضب من دخول الصبي عليه ، فقالت :

" يا نبي الله جعلت لك الفداء أنك قد قلت لا تبكوا هذا الصبي ، وأمرتني أن لا أدع أحدا يدخل عليك فجاء فخليت عنه فلم يجبها النبي بشئ ، وخرج إلى أصحابه ، وهو غارق في الهم والأسى فقال لهم :

" إن أمتي يقتلون هذا – وأشار الحسين – " .

فانبرى إليه أبو بكر وعمر فقالا له : " يا نبي الله وهم مؤمنون ؟ ! ! " (9) .

" نعم وهذه تربته . . . " (10) .

8 – روى أنس بن الحارث عن النبي (ص) أنه قال : " إن ابني (ص) أنه قال : " إن ابني هذا – وأشار إلى الحسين – يقتل بأرض يقال لها كربلا ، فمن شهد ذلك منكم فلينصره . ولما خرج الحسين إلى كربلا خرج معه أنس ، وأستشهد بين يديه (11) .

9 – روت أم سلمة قالت : كان الحسن والحسين يلعبان بين يدي النبي في بيتي فنزل جبرئيل فقال يا محمد : إن أمتك تقتل ابنك هذا من بعدك – وأشار إلى الحسين – فبكى رسول الله (ص) وضمه إلى صدره وكان بيده تربة فجعل يشمها وهو يقول : " ويح كرب وبلاء " وناولها أم سلمة فقال لها :

" إذا تحولت هذه التربة دما ، فاعلمي ان ابني قد قتل " .

فجعلتها أم سلمة في قارورة ، وجعلت تتعاهدها كل يوم وهي تقول : " إن يوما تتحولين دما ليوم عظيم . . . " (12) .

10 – رأى النبي (ص) في منامه كأن كلبا أبقع يلغ في دمه ، فأوله بان رجلا يقتل ولده الحسين ، فكان شمر بن ذي الجوشن الأبرص هو الذي قتل الامام (13) .

11 – روت أم سلمة قالت : قال رسول الله (ص) : " يقتل الحسين بن علي على رأس ستين من مهاجرتي " (14) .

12 – روى معاذ بن جبل قال : خرج علينا رسول الله (ص) فقال : " أنا محمد أوتيت فواتح الكلام وخواتمه ، فأطيعوني ما دمت بين أظهركم فإذا ذهب بي فعليكم بكتاب الله عز وجل أحلوا حلاله ، وحرموا حرامه أتتكم الموتة . . . أتتكم فتن كقطع الليل المظلم ، كلما ذهب رسل جاءت رسل ، تناسخت النبوة ، فصارت ملكا ، رحم الله من أخذها بحقها وخرج منها كما دخلها ، أمسك يا معاذ ، واحص ، قال معاذ : فأحصيت خمسة – يعني من الخلفاء – فقال النبي (ص) :

" يزيد ، لا بارك الله في يزيد . . . " .

ثم ذرفت عيناه بالدموع ، فقال (ص) : " نعي إلي الحسين ، وأتيت بتربته ، وأخبرت بقاتله ، لا يقتل بين ظهراني قوم لا يمنعوه إلا خالف الله بين صدورهم وقلوبهم ، وسلط عليهم أشرارهم ، وألبسهم شيعا . . . " .

ثم قال (ص) : " وآها لفراخ آل محمد من خليفة مستخلف مترف يقتل خلفي وخلف الخلف .

أمسك يا معاذ ، فلما بلغت عشرة – أي عشرة أشخاص من الذين يتولون الحكم من بعده – قال : الوليد (15) اسم فرعون هادم شرايع الاسلام يبوء بدمه رجل من أهل بيته يسل الله سيفه فلا غماد له ، واختلف الناس وكانوا هكذا وشبك بين أصابعه ، ثم قال : بعد العشرين ومائة موت سريع ، وقتل ذريع ، ففيه هلاكهم ، ويلي عليهم رجل من ولد العباس (16)

لقد استشف النبي (ص) من وراء الغيب ما تمنى به أمته من بعده من الكوارث والفتن من جراء ما يحدث فيما بينها من الصراع الرهيب على الحكم ، حتى يؤل أمر المسلمين ، واذلالهم ، كما أخبر بما سيجري على سبطه من القتل والتنكيل من يزيد بن معاوية ، وأخبره (ص) عن زوال الحكم الأموي ، وانتقاله إلى بني العباس ، وعما تعانيه الأمة في تلك الفترات العصبية من القتل والجور والظلم ، وقد تحقق جميع ذلك على مسرح الحياة كما أخبر الصادق الأمين .

13 – روى ابن عباس قال : لما أتت على الحسين سنتان من مولده خرج النبي (ص) في سفر له ، فلما كان في بعض الطريق وقف فاسترجع ، ودمعت عيناه ، فسئل عن ذلك ؟ فقال : هذا يخبرني عن أرض بشاطئ الفرات يقال لها كربلا ، يقتل بها ولدي الحسين بن فاطمة ، فانبرى إليه نفر من أصحابه فقالوا له :

" من يقتله يا رسول الله ؟ ! " .

فاندفع يجيبهم بنبرات متقطعة حزينة قائلا : " رجل يقال له يزيد لا بارك الله في نفسه ، وكأني أنظر إلى مصرعه ومدفنه بها ، وقد أهدى برأسه ، والله ما ينظر أحد إلى رأس ولدي الحسين فيفرح إلا خالف الله بين قلبه ولسانه . . " .

ولما قفل النبي من سفره كان مغموما ، فصعد المنبر ووعظ المسلمين وقد حمل حفيديه وريحانتيه ، فرفع رأسه صوب السماء وقال :

" اللهم إني محمد عبدك ونبيك ، وهذا أطايب عترتي ، وخيار ذريتي ، وأرومتي ، ومن أخلفهم في أمتي . . اللهم وقد أخبرني جبريل بأن ولدي هذا – وأشار إلى الحسين – مقتول مخذول ، اللهم فبارك له في قتله ، واجعله من سادات الشهداء ، انك على كل شئ قدير ، اللهم ولا تبارك في قاتله وخاذله . . . " .

وانقلبت ساحة الجامع إلى صرخة مدوية من البكاء والعويل ، فقال لهم النبي : " أتبكون ، ولا تنصرونه ؟ اللهم فكن أنت وليا وناصرا ! ! " .

قال ابن عباس : وبقي النبي متغير اللون محمر الوجه ، فصعد المنبر مرة أخرى وخطب الناس خطبة بليغة موجزة ، وعيناه تهملان دموعا ، ثم قال :

" أيها الناس : إني قد خلفت فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي وأرومتي ومراح مماتي (17) وثمرتي ، ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض ، ألا وأني لا أسألكم في ذلك إلا ما أمرني ربي أن أسألكم المودة في القربى ، فانظروا أن لا تلقوني غدا على الحوض ، وقد أبغضتم عترتي .

ألا وأنه سيرد علي في القيامة ثلاث رايات من هذه الأمة راية سوداء مظلمة قد فزعت لها الملائكة فتقف علي ، فأقول : من أنتم ؟ فينسون ذكري ، ويقولون : نحن من أهل التوحيد من العرب ، فأقول : أنا أحمد نبي العرب والعجم ، فيقولون نحن من أمتك يا أحمد : فأقول لهم كيف خلفتموني من بعدي في أهلي وعترتي وكتاب ربي ؟

فيقولون : أما الكتاب فضيعنا ومزقنا ، وأما عترتك فحرصنا على أن يندهم (18) من جديد الأرض فأولي عنهم وجهي فيصدرون ظماء عطاشا مسودة وجوههم ثم ترد علي راية أخرى أشد سوادا من الأولى ، فأقول لهم : من أنتم ؟ فيقولون كما تقول الأولى : إنهم من أهل التوحيد نحن من أمتك ، فأقول لهم : كيف خلفتموني في الثقلين الأصغر والأكبر في كتاب الله وفي عترتي ؟ فيقولون : أما الأكبر فخالفنا ، وأما الأصغر فخذلنا ، ومزقناهم كل ممزق فأقول إليكم عني : فيصدرون ظماء عطاشا مسودة وجوههم ، ثم ترد علي راية أخرى تلمع نورا فأقول لهم : من أنتم ؟

فيقولون : نحن كلمة التوحيد ، نحن أمة محمد ، ونحن بقية أهل الحق الذي حملنا كتاب ربنا فأحللنا حلاله ، وحرمنا حرامه ، وأحببنا ذرية نبينا محمد (ص) فنصرناهم بما نصرنا أنفسنا ، وقاتلنا معهم ، وقاتلنا من ناواهم فأقول لهم : أبشروا فأنا نبيكم محمد ، ولقد كنتم في دار الدنيا كما وصفتم ، ثم أسقيهم من حوضي فيصدرون مرويين ، إلا وان جبرئيل قد اخبرني بان أمتي تقتل ولدي الحسين بأرض كرب وبلاء الا فلعنة الله على قاتله وخاذله إلى آخر الدهر . . . " .

ثم نزل عن المنبر ولم يبق أحد من المهاجرين والأنصار الا واستيقن ان الحسين مقتول (19) .

هذه بعض الاخبار التي أعلن بها النبي (ص) عن مقتل سبطه وريحانته ويلمس فيها ذوب روحه أسى وحزنا عليه ، وقد تأكد المسلمون من هذه الأخبار . بقتل الامام ولم يخالجهم فيه أدنى شك ، كما آمن بها الحسين (ع) وأعلن ذلك في كثير من المواقف التي سنعرض لها في غضون هذا الكتاب .

الهوامش

(1) تاريخ ابن عساكر 13 / 212 ، مناقب ابن شهرآشوب 2 / 143 .

(2) البداية والنهاية 8 / 37 .

(3) أسد الغابة 2 / 34 ، كنز العمال 6 / 86 ، مجمع الزوائد 9 / 186 .

(4) سير أعلام النبلاء 3 / 193 ، وفي كفاية الطالب (ص 425) عن أبي المهزام قال : كنا في جنازة امرأة ومعنا أبو هريرة فجيئ بجنازة رجل فجعلها بين المرأة فصلى عليهما ، فلما أقبلنا أعيى الحسين فقعد في الطريق فجعل أبو هريرة ينفض التراب عن قدميه بطرف ثوبه فقال الحسين : أتفعل هذا ؟ فقال أبو هريرة : دعني منك فوالله لو علم الناس منك ما اعلم لحملوك على رقابهم .

(5) سير أعلام النبلاء 1 / 280 .

(6) تاريخ اليعقوبي 2 / 293 .

(7) شرح ابن أبي الحديد 1 / 302 .

(8) تاريخ الطبري 6 / 273 .

(9) ديوان سيد حيدر (ص 87) .

(10) ديوان السيد حيدر (ص 71) .

(11) ديوان السيد حيدر .

(12) شرح نهج البلاغة 3 / 263 .

(13) الإمام الحسين (ص 101) .

(14) أنساب الأشراف ج 1 ق 1 .

(15) كشف الغمة .

(16) الإصابة 2 / 222 .

(17) الحسين 1 / 117 .

(18) تاريخ ابن عساكر 13 / 54 .

(19) أعيان الشيعة 4 / 110 .